محاضرة: الأصول ما بعد الحداثية: مدرسة فرانكفورت، فوكو، دريدا.

ـ مدرسة فرانكفورت:

تحيل التسمية على تجمع لمثقفين ألمان قاموا بتأسيس معهد البحوث الاجتماعية بدءا من 23 فيفري 1923 داخل جامعة فرانكفورت. ويعد تيودور أدورنو وهو أحد الأعضاء المؤسسين لمدرسة فرانكفورت أول من بلور مفهوم النقد الثقافي، ففي كتابه مشاورات الصادر عام 1951، يأتي الفصل السابع بعنوان النقد الثقافي والمجتمع وفيه يطرح أدورنو أن النقد الثقافي مفهوم برجوازي أنتجه المجتمع الاستهلاكي ولابد أن نعي حقيقته بوصفه كذلك، فهو يحول الثقافة إلى سلعة، ويخضعها لدوائر التشيؤ والتسليع والاستهلاك.

صاغ أدورنو مصطلح تصنيع الثقافة/ صناعة الثقافة في كتاب جدل التنزير الذي ألفه رفقة هوركهايمر وفي ذلك يقول أدورنو:" يبدو أن مصطلح الصناعة الثقافية تم استعماله للمرة الأولى في كتابي أنا وهوركهايمر " ديالكتيك التنوير"، والصادر في 1947 بأمستردام. حيث انطلقنا من مسألة ثقافة الجماهير ثم تخيلنا عنها لنستبدلها ب " الصناعة الثقافية". انصب اهتمام تيودور أدورنو بتحليل صناعة الثقافة وكيف أصبحت الثقافة الشعبية، الجماهيرية والفنون بضاعة مصنعة تهدف إلى التلاعب بأفراد المجتمع وجعله سلبيا عاجزا عن طريق استهلاك المتع السريعة والغرية عن طريق وسائل الإعلام والاتصال الحديثة التي تقتلع الأفراد من واقعهم وتجعلهم يركضون لاهثين وراء بضائع المدنية البراقة بغض النظر عن ظروفهم المعيشية.

وأن هذه الصناعة الثقافية تولد في أفراد المجتمع حاجات نفسية يتم إشباعها من خلال البضائع الصناعية، ومن ثم تغدو الثقافة الجماهيرية أداة للهيمنة على هؤلاء الأفراد الذين يكتفون بدور المستهلك. وفق آراء مدرسة فرانكفورت فإن البشر في الطبقات العاملة أي الجماهير قد استدرجوا إلى ثقافة الاستهلاك وانغمسوا في المتع السطحية والمبتذلة التي تقدمها الثقافة الشعبية، كما تم غسل عقولهم بوسائل الإعلام الجماهيرية، ومن ثم فقدوا الاهتمام بهوية طبقتهم، وبالحاجة إلى الثورةـ أو على الأقل ـ الحاجة إلى التغييرات السياسية.

ـ جاك دريدا:

تتجسد فلسفة التفكيك في أعمال جاك دريدا المستمدة من فلسفة الشك، حيث بين أن التراث الفلسفي الغربي متشبع بمركزية الكلمة أو ميتافيزيقا الحضور" فالفكر الغربي قائم على ثنائية ضدية عدائية تتأسس عليها، ولا توجد إلا هذه الثنائية العقل/ العاطفة، الجسد/ العقل، الذات/ الآخر، وأن هذا الفكر يمنح الامتياز والفوقية للطرف الأول، ويلقي بالدونية والطبقية على الطرف الثاني وهذا الانحياز الأول على الثاني ما يسميه دريدا بالتمركز المنطقي.

انتقد دريدا ما دعت إليه البنيوية من اتباع منهج علمي فالعلم عنده مثله مثل الفلسفة والدين يقيم نظامه على ما يسميه الحضور ومعناه التسليم بوجود نظام خارج اللغة يبرر الإحالة للحقائق أو الحقيقة.

تسعى التفكيكية إلى دراسة النص دراسة تقليدية ثم تقويض ما تصل إليه من معان تتناقض مع ما يصرح به، أي أنها تهدف إلى إيجاد شرح بين ما يصرح به النص وما يختفي تحت عباءته الحرفية، وفي ذلك تعتمد على بلاغيات النص لتنفذ منها إلى منطقياته، وترى أنه لا امكان لقول الحقيقة دون مجاز، لأن الخطاب ذو طبيعة مجازية.. وكل نص يمارس غوايته أو سلطته على القارئ وبخاصة إذا كان جميلا، فهو يصرفنا عن موضوع الكلام نفسه.

ـ ميشيل فوكو:

رفض فوكو مبدأ استقلالية الخطاب وانغلاقه، وذهب إلى أن العالم شيء أكبر من أن يكون مجرة من النصوص وبأن النظريات النصية تتجاهل الربط الوثيق بين الخطاب والقوة، فهذه النظريات النصية تختزل القوة السياسية والاقتصادية والسيطرة الاجتماعية والايديولوجية في جوانب مرتبطة بالدلالة.

انطلق في تأسيسه لمفهوم الخطاب الذي ربطه بمفاهيم أساسية: المعرفة، السلطة، من مرجعية بنيوية ماركسية، حيث عمل على دراسة الخطاب من منظور العلاقات القائمة بين عناصره، والتي تكون في مجموعها نسقا.. ويعتقد أنه بالامكان اكتشاف نوع من النظام في الخطاب، يتعين بنسق الكلمات، ورأى بوجود تقارب بين طبيعة المظاهر الحياتية وطبيعة لغة الخطاب، وأن هذا التقارب والترابط بين لغة الخطاب والواقع يتم حسبه عن وعي بخلاف الماركسية التي ترى أن الحديث عن وعي الإنسان وهم.

وأن للخطاب دور واع يتمثل في الهيمنة التي يمارسها أصحاب حقل معرفي على صحة خطاب المتحدث وشروعيته مما يشير إلى إن إنتاج الخطاب ليس حرا، وإنما يخضع إلى مجموعة من المعايير الاجتماعية والثقافية السائدة.